وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية

محاضرات في تاريخ الوطن العربي

الحديث والمعاصر

للمرحلة الثالثة

قسم الجغرافية

الدراسة الصباحية والمسائية

إعداد

م. د. عبد السلام الربيعي

م. وفاء خالد

٢٠١٧-٢٠١٨

(المحاضرة الاولى)

بداية الغزو الاستعماري الأوربي للوطن العربي

شهدت بداية العصور الحديثة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر حركة مهمة للتوسع الأوربي شملت مناطق مختلفة من الكرة الأرضية. فقد فتح النشاط الاقتصادي في أواخر القرن الخامس عشر لاوربا افاقا جديدة للتجارة والرخاء مما جعل الاوربيون يندفعون بحماس كبير يجوبون بحار العالم ومحيطاته بحثا عن طرق جديدة توصلهم الى الشرق هذا بالإضافة الى رغبتهم بالحصول على التوابل والحرير. وكان البرتغاليون والاسبان في مقدمة القوى الاوربية التي تحملت عبء حركة الاستكشافات الجغرافية، فكانتا في اشتباك مزمن مع العرب وخاصة بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢.

تركزت نقاط الصدام بين المستعمرين الاوربيين والعرب منذ منتصف القرن الخامس عشر في منطقتين حيويتين:

- الأولى في الطرف الشمالي الغربي من الساحل الافريقي المتمثل بالبحر المتوسط والمحيط الأطلسي.
- الثانية في المياه العربية الجنوبية المتمثلة في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي.

مراحل الغزو الاستعماري البرتغالي والاسباني:

١- الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى:

كانت بلدان المغرب العربي تتمتع بالوحدة السياسية طيلة عهد ازدهار الدولة العربية الإسلامية ولمدة طويلة ولم تستطع القوى الأجنبية من النيل منها الا ان الانقسامات الشديدة والصراعات الداخلية منذ القرن الثالث عشر الميلادي كان لها الأثر الكبير في وصول البرتغاليين الى هذه الأراضي العربية في حينها حكم بلاد

المغرب العربي خلال المدة الواقعة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلادي دولتان قويتان هما:

أ- **دولة المرابطين:** تعد حركة المرابطين التي ظهرت في القرن الحادي عشر للميلاد واحدة من الحركات الإسلامية التي شهدها جزء كبير من القارة الافريقية. وقد استطاعت إقامة دولة لها في المغرب العربي فشهد المغرب حينها ازدهارا اقتصاديا وحضاريا واستطاع أحد زعمائها (يوسف بن تاشفين) ان يهزم قوات قشتالة في معركة (الزلاقة) في ١٠٨٦، وحاول انقاذ العرب المسلمين في الاندلس الذين كانوا آنذاك يتعرضون لخطر الضغط الفرنجي الصليبي.

ب- **دولة الموحدين:** حققت هذه الدولة وحدة سياسية وازدهار حضاري في المغرب العربي منذ سنة ١١٦٠ بعد تدهور دولة المرابطين لكن سرعان ما ظهر في الضعف والانقسام في أواخر القرن الثالث عشر وانقسمت بين قوى متعددة كل واحدة منها تحاول التوسع على حساب الأخرى مما فسح المجال امام الدول الاستعمارية من التدخل في شؤونها.

ونظرا لقرب البرتغال من المغرب الأقصى فقد كان في مقدمة الدول الاستعمارية التي اتجهت الى السيطرة عليه منتهزه فرصة اضطراب الأوضاع هناك، واستطاع البرتغاليون سنة ١٤١٥م السيطرة على ميناء (سبته) في ساحل المغرب الشمالي، فتصدى لهم الشعب المغربي وحاول سلطان المغرب (أبو سعيد المريني) استعادة هذه القاعدة، لكنه فشل بسبب عدم تكافؤ قواته مع القوات البرتغالية.

استطاعت حملة بقيادة الملك (الفونسو الخامس) احتلال ميناء (القصر الصغير) او قصر (مصموده) الواقع بين سبته وطنجة ين سنتي ١٤٦٣-١٤٦٤، وباءت بالفشل نتيجة المقاومة الباسلة التي ابداها العرب هناك

بعد ذلك استمرت الأوضاع سوءا في المغرب مما جعل البرتغاليون يستولون على (ازمور و اصيلا) وبعد ذلك تمكنوا من احتلال ثغر طنجة اعظم المرافئ الواقعة على البحر المتوسط.

استمر الشعب المغربي بالمقاومة ومهاجمة الحاميات البرتغالية وشل حركتها ولم يبق امام البرتغال سوى طنجة ومرغان لكن سرعان ما دب الضعف في السعديين أثر تعدد الزعامات والصراعات حول السلطة مما أدى الى تعرض البلاد الى التردي الاقتصادي والفوضى السياسية، وقد سمحت هذه الأوضاع بظهور قوة جديدة تمثلت بقوة الاشراف العلويين الذين كانوا يحكمون إقليم (تافيلالت) في الجنوب الشرقي من المغرب منذ القرن الرابع عشر الميلادي وقد امتد نفوذهم ابان ضعف السعديين الى وادي السوس.

اما الاستعمار الاسباني فقد شارك البرتغال في التغلغل نحو الأراضي المغربية فاحتل مدينة تطوان ومدينة مليلة وآلت مدينة سبته إليهم عقب انتصارهم على البرتغاليين سنة ١٦٦٥.

٢- الغزو البرتغالي للخليج العربي والبحر الأحمر:

كان لظهور البرتغاليين أوائل القرن السادس عشر اثر بعيد في تاريخ الخليج العربي واقطاره، فقد حولوا طرق التجارة عن مجراها التقليدي المار عبر الحر المتوسط والبحر الأحمر فالبحر العربي والعراق، فحرموا منطقة الخليج العربي من مصدر أساس من مصادر ثروتها.

ومع حلول القرن السادس عشر ثبت البرتغاليون اقدامهم في سواحل الهند واحتكروا تجارة التوابل والاحجار الكريمة والحرير حاول حكام مصر من المماليك ان يصدوا الزحف البرتغالي وذلك لوجود البرتغاليين في المياه العربية والجنوبية كما اوردنا سابقا فحرمهم من موارد اقتصادية كبيرة كانوا يحصلون عليها وخاصة من الضرائب

المفروضة على البضائع الشرقية المارة بمصر لذلك تعاونوا مع (البنادقة) الذين كانوا يتولون عملية نقل البضائع.

وقد سعى المماليك لتقوية الدفاع عن المدخل الجنوبي للبحر الأحمر عن طريق الاستيلاء على اليمن (عدن) ولكنهم فشلوا في ذلك. كما تعرض المماليك لضربة قاصمة في المحيط الهندي بعد هزيمة اسطولهم امام الاسطول البرتغالي في موقعة (ديو) عام ١٥٠٩، فحاول المماليك التعاون مع الصفويين ضد البرتغال وفشلوا في ذلك اذ سبقهم البرتغاليون في التفاهم مع الشاه الصفوي.

ان فشل المماليك في طرد البرتغاليين فسح المجال لظهور العثمانيين كقوة جديدة إزاء الغزو البرتغالي، كما حدث مثل ذلك في المغرب العربي فقد استطاع العثمانيون الاستفادة من هذه الأوضاع في السيطرة على الوطن العربي واخضاعه لنفوذهم قرابة أربعة قرون.

ومع ان العثمانيين كانوا قادرين للوقوف بوجه الغزو البرتغالي الا انهم لم يستطيعوا القيام بعمل حاسم في الخليج العربي، كما فعلوا في البحر الأحمر عندما حلوا محل المماليك في مصر. ففي سنة ١٥٣٨ احتلوا عدن واغلقوا باب المندب في وجه البرتغاليين، لكنهم لم يقدروا ان يفعلوا شيئا في البحار الشرقية بعد منتصف القرن السادس عشر الميلادي لبعد اسطولهم عن قواعده الرئيسية في البحر المتوسط، فأرسلوا اساطيلهم البحرية الى المحيط الهندي والخليج العربي لمحاربة البرتغاليين الا انها لم تستطع اضعاف البرتغاليين في الخليج العربي والمحيط الهندي.

وهكذا اخذ العرب على عاتقهم مقاومة الغزاة البرتغاليين فقاموا بثورات عديدة في مناطق متعددة من الخليج العربي كما ساعد خضوع البرتغال للعرش الاسباني سنة ١٥٨١ ووصول الإنكليز والهولنديين الى الخليج العربي في اضعاف البرتغاليين وتقليص نفوذهم فيه، ولكن قوة عرب عمان كانت العامل الحاسم في طرد البرتغاليين

من المنطقة، ففي سنة ١٦٢٤ انتخب (ناصر بن مرشد اليعربي) اماما في عمان واستطاع توحيدها وإعلان دولة اليعاربة فنتج عن هذه الوحدة حركة تحرر من البرتغاليين لا هوادة فيها فتحررت صحار ومسقط وتمت تصفية النفوذ البرتغالي على الشاطئ الغربي للخليج العربي، وكان ميناء كنجان الصغير على الشاطئ الشرقي اخر معقل للبرتغاليين في الخليج العربي دمره العمانيون.